طرائف:

في الأدب والتاريخ والسياسة

« دار الحقوق إلى خاها المجتبى »

للأستاذ محمد حسين الفار

أثار بنفسي انتخاب دولة خطيب الثورة الوطنية الأستاذ الزعيم إبراهيم عبد الهادي باشا رئيساً للهيأة السعدية الموفرة على أعقاب استشهاد زعيم النزاهة السيف الأبي الشريف النقراشي باشا عليه الرحمة والرضوان.

أثار بنفسي هذا الانتخاب ذكريات كريمة قديمة برغم ما أعانيه الآن من ظروف ملتوية، وأويقات عاتية، إذ عاد بذاكرتي إلى سنة أربع وعشرين وتسعمائة وألف، حينما كان الزعيم الجليل المغفور له سعد زغلول باشا في دست الحكم واستصدر عفواً عن الرعيل الأول من المجاهدين الأحرار الذين كانوا بأكورة من حكم عليهم بالإعدام في سبيل البلاد، واستبدل بعد بالإعدام السجن مدداً متفاوتة، وكان بمكان الرياسة منهم المرحوم المبرور رجل الوطنية الصامتة عبد الرحمن بك فهمي طيب الله ثراه، كما كان أبرزهم مكاناً وأنبههم شأناً خطيب الشباب النوابغ إبراهيم أفندي عبد الهادي الطالب بالسنة الرابعة بمدرسة الحقوق السلطانية إذ ذاك.

خرج هذا الرعيل الأول من السجن على أثر استصدار العفو أطماراً أسراراً، فاحتفت بهم مصر حكومة وشعباً، واحتشد لهم المصريون زمراً وأفراداً، وأقيمت لهم حفلة تكريم كبرى عرفت بحفلة تكريم المسجونين السياسيين، وألقيت فيها خريدة شوقية خالدة عرّج فيها أمير الشعراء أحمد شوقي بك الشاعر الخالد نضر الله ثراه على فتى الحقوق المجتبى إبراهيم أفندي عبد الهادي، فقد اختصه بذكر اسمه في فريدته الشوقية دون سائر المسجونين المكرمين جميعاً.

ذلك أن الفتى الناهض إبراهيم عبد الهادي قد تقدم لترشيح نفسه، كما رشحته جدارته لرآسة لجنة شباب القاهرة والأقاليم التنفيذية العليا، وتقدم منافساً له في تلك الرياسة حسن أفندي يسن النائب السابق والوفدي المعروف. ولكن الزعامة خطبت ود إبراهيم منذ فتائه، فقد اكتسح خصمه، وعما من قائمة انتخاب الرياسة اسمه ورسمه. وكان لمدرسة الحقوق في أمثال تلك المعارك الانتخابية بين الشبيبة المتثقفة يد طولى وقدح مُعلّى، فوقف سوادها الأعظم، وجمهورها الأكرم، خلف إبراهيم خطيب الشباب الموهوب.

فأشاد بذلك أمير الشعراء وشدا، وغرد البلبل الصداح، فأسر الأفئدة، ونغم الصدى بسلسله العذب ودُرّه الفريد الذي يفنى الزمان ولا يفنى، ويبيد الدهر ولا يبيد.

وذلك في قصيده الرائع الذي توّج به هامة حفل التكريم، والذي كان مطلعه ذلك النزل الرقيق الذي بلغ منتهى العذوبة وغاية الطلاوة والرواء:

بأبي وروحي الناغمات النيدا ... الباسمات عن اليتيم نضيدا
الرانيات بكل أحْوَر فاتر ... يذر الخلي من القلوب عميدا
الزاويات من السُّلاف عجاجراً ... الناهلات شوالفاً وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائرا ... الراتعات مع النسيم قدودا
أقبلن في ذهب الأصيل ووشيه ... ملء الغلائل لؤلؤاً وفريدا
يحسدن بالحدق الحواسد دُمية ... كظباء وجرة مقلتين وجيدا
حوت الجمال فلو ذهبت تزيدُها ... في الوهم حسناً ما استطعت مزيدا
لو مر بالوُلدان طيف جمالها ... في الخلد خروا ركعاً وسجودا
أشهى من العود المرنم منطقاً ... وألذ من أوتاره تغريدا

وهنا انتقل انتقالا رائعاً، وتخلص من الغزل إلى السياسة تخلصاً بارعاً، إذ قال:

لو كنت سعداً مطلق السجناء لم ... تطلق لساحر طرفها مصفودا
ما قصر الرؤساء عنه سعى له ... سعد فكان موفقاً ورشيدا

وهكذا سار أمير الشعراء كما عهده الناس يتدفق بياناً وسحراً، فنوه فيما ساقه لنا من روائع آياته وخوالد بيناته بفتى الشباب المرتجى في ذلك العهد إبراهيم عبد الهادي مشيراً إلى تبوئه مكان الزعامة من الشبيبة في بيتين من أوابد الشعر وبدائع القريض حافلين بالإشادة والثناء. ذلك إذ قال:

دار الحقوق إلى خاها المجتبى ... تلت الصبان وألفت الإنليدا